٢٢- باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾(٢) .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾{٣}.

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟ " أخرجاه(٤).

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنْزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ؛ وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا». (٥)

ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلي يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون؛ كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي. ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»(٦) .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

---

١) سورة النساء الآية {٥١} .
٢) سورة المائدة الآية {٦٠} .
٣) سورة الكهف الآية {٢١} .
٤) رواه البخاري في صحيحه برقم {٣٤٥٦}، ومسلم في صحيحه برقم {٢٦٦٩} .
٥) رواه مسلم في صحيحه برقم {٢٨٨٩} .
٦) رواه أحمد في المسند برقم {٢٢٣٩٥} ، وأبو داود في سننه برقم {٤٢٥٢}.

الثالثة: تفسير آية الكهف.
الرابعة: وهي (من) أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؟ هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفه بطلانها؟
الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.
السادسة: وهي المقصودة بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.
السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.
الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.
التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.
العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.
الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى الساعة.
الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة :
منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.
وإخباره بأنه أعطي الكنْزين.
وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.
وإخباره بأنه مُنع الثالثة.
وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع.
وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا ، وسبي بعضهم بعضا .
وخوفه على أمته من الأئمة المضلين .
وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة.
وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.
وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.
الثالثة عشرة: حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين.
الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

ملحوظة/ المحاضرة الأولى والثانية سيتم تفريغهما إن شاء الله.

الشرح :

ذكر المؤلف هنا عدة أدلة من القرآن الكريم ودليلا من السنة ، وهذا الباب عقده المؤلف رحمه الله تعالى ليرد على من يقول بأن هذه الأمة لا يرجع إليها الشرك مرة أخرى ؛ بعد البعثة النبوية المباركة ، فيريد المؤلف أن يبين للأمة أنه ينبغي على كل إنسان أن يخاف على نفسه من الشرك ، كبيره وصغيره ، قليله وكثيره ، يريد المؤلف أن يبين أنه لا يصح للمؤمن أو للمسلم أن يأمن على نفسه ، كما قال إبراهيم التيمي في قول إبراهيم عليه السلام ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَام** ﴾(١) قال : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.(٢) من يأمن على نفسه؟ إذا كان إبراهيم عليه السلام لم يأمن على نفسه وهو إمام الحنفاء، فإبراهيم عليه السلام خاف على نفسه وعلى بنيه فقال ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَام**﴾ فإذا كان إمام الحنفاء خاف على نفسه وخاف على بنيه فكيف بمن دونه من عباد الله ، فأراد المؤلف أن يبين في هذا الباب أن هذه الأمة يوجد منها من يعبد الأصنام ويعبد الشياطين والجن ويفعل ما فعلته اليهود والنصارى من عبادة الجبت والطاغوت والاعتقاد في السحرة والكهنة والعرافين ورجوع فئام وجماعات من الأمة إلى عبادة الأوثان .

وذكر في هذا ثلاثة أدلة من القرآن الكريم ، قوله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾(٣)فبين أن هذا سيقع في هذه الأمة أي : الإيمان بالجبت والطاغوت.

وقوله تعالى ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾(٤) فسيوجد في هذه الأمة من يعبد الطاغوت كما كان في الأمم السابقة.

ثم ذكر قوله تعالى : ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾(٥) فوجد في الأمم السابقة من يبني المساجد على قبور الصالحين ، وسيوجد في هذه الأمة من يفعل ذلك .

---

١) سورة ابراهيم الآية {٣٥}.
٢) انظر تفسير الطبري (١٣ / ٢٢٨) .
٣) سورة النساء الآية {٥١} .
٤) سورة المائدة الآية {٦٠} .
٥) سورة الكهف الآية {٢١} .

ثم ذكر حديث أبا سعيد الخدري «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ذراعا بذراع**» وفي رواية في مسند أحمد «**حذو القذة بالقذة**» القذة : ريشة السهم، يعني هذه الأمة ستتبع آثار الأمم السابقة من اليهود والنصارى والفرس والروم شبرا بشبر، وهذا هو الواقع الحالي الذي يلمسه كل إنسان ، أننا صرنا نتبعهم في العقائد وفي العبادات وفي المعاملات وفي الزي وفي العادات .
ثم ذكر حديث ثوبان رضي الله عنه الذي رواه مسلم وهو حديث طويل ذكره المؤلف في صحيح مسلم وأتى بزيادة من عند الإمام أبي بكر البرقاني.
ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها. وأعطيت الكنْزين الأحمر والأبيض. وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم؛ وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا» ورواه البرقاني في صحيحه.
قوله : «ولمسلم عن ثوبان» يعني جاء في صحيح الإمام مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، الحديث رقم ٢٨٨٩ «**عن ثوبان**» ثوبان: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثوبان بن بجدد، ويقال: ابن جحدر، هو سبي في الجاهلية ، كان في سبي اليمن وبعد ذلك اشتراه النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقه ، وخيره أن يبقى عنده أو أن يذهب ، فاختار رضي الله عنه أن يبقى مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ملازما له في السفر والحضر، حتى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو ممن شهد فتح مصر، وبعد ذلك توفي في حمص أو في مصر على أحد القولين عام ٥٤هـ .
قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها» «**إن الله**» وفي رواية أبي داود «**إن ربي زوى لي**» زوى يعني جمع «**زوى لي الأرض**» جمع لي الأرض ، وهذا يحتاج إلى تأمل «**إن الله زوى لي الأرض**» هذا فيه معجزة من معجزات النبي وآية له صلى الله عليه وسلم ، أن الله جل وعلا جمع له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها ، المشارق والمغارب جمع مشرق ومغرب ، لماذا جمعت المشارق والمغارب ؟

الجواب : باعتبار اختلاف مشارق الشمس ومغاربها ، فالشمس تشرق من مكان غير الذي شرقت منه بالأمس فبينهم درجات يسيرة أي بين شروق اليوم وشروق أمس، وهكذا درجات يسيرة ، فهي لذا مشارق.

قوله : «زوى لي الأرض» كيف زواها ؟ أهل العلم ذكروا أنه يحتمل أحد احتمالين: الاحتمال الأول : أنه قوى بصره حتى رأى المشارق والمغارب ، أي جهة المشرق وجهة المغرب ، وهذه مسافة كبيرة جداً ، فالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ويقول هذا الكلام ، أو جمعها له بمعنى أنه جمعها أمامه ، كما ترى الكرة الأرضية، مجموعة أمامك على المائدة مثلا ، فقد يقال جمعها له فرآها كما يرى الإنسان منا الكرة الأرضية في وقت واحد في رؤية واحدة ، يعني زواها وجمعها أمامه فرآها كلها أي رأى المشارق والمغارب ، هذا أحد الاحتمالين : فالاحتمال الأول يكون قوى بصره حتى رأى المشارق والمغارب ، يعني بلاد الهند والسند والصين وباكستان وما وراءها وبلاد المغرب وما قبلها ، أو الاحتمال الآخر أن يكون جمعها له وضمها بحيث أنه رآها أمامه كما تنظر إلى الكرة الأرضية فرأى المشارق والمغارب ، لماذا لم يقل رأيت شمالها وجنوبها ؟

الجواب : أن هذه من المعجزات، لأنه قال بعدها **«وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»** ملك هذه الأمة سيبلغ المشارق والمغارب، سينتشر وقد حصل فعلا أن الإسلام انتشر حتى ملك المشارق والمغارب ، فقامت في بلاد الهند التي هي في أقصى بلاد الدنيا الدولة الإسلامية ، دولة الخوارزميين ، الذين حكموا الهند حوالي أربعمائة سنة ، يعني الهند التي تعبد الآن الأبقار والنيران كان فيها الإسلام سائدا وقائما وراية الإسلام مرفوعة تحكم بالإسلام وبشريعة الإسلام أربعة قرون ، وكذلك امتد الإسلام إلى المغارب حتى المحيط الأطلسي وقد وصل إلى بعض بلاد أوروبا كما في الأندلس التي تعرف الآن بأسبانيا .

فإذاً هذه معجزة أن الأمر وقع كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل الشمال والجنوب لأن الإسلام لم يصل للشمال والجنوب كما وصل للمشارق والمغارب.

نعم الإسلام قد وصل إلى أوروبا ، فإنه يوجد إسلام في أوروبا وفي أفريقيا في جنوب إفريقيا لكن ليس كالمشارق والمغارب ، فهذا من الآيات والدلالة على صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بما سيقع ووقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم .

قوله : «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» أو **«ما زوى لي منها»** يعني زوى الله جل وعلا لي منها أو زُوي مبني لما لم يسم فاعله أو زوى فعل ماض والفاعل: رب العزة سبحانه وتعالى .

قوله : **«وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض»** وهذا أيضا علامة أخرى ودليل آخر من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم **«أعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض»** الأحمر الذهب والأبيض الفضة ، والمقصود بالأحمر كما قيل أنه ملك قيصر، فغالب أموالهم كانت الذهب ، والأبيض ملك كسرى وغالب أموالهم كانت الفضة ، ولا مانع أن يكون كلاهما عنده من الذهب والفضة **«وأعطيت الكنزين»** أي كنز كسرى وكنز قيصر، وهذا يقوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون كانوا ما زالوا في المدينة والحروب سجال بينهم وبين أعدائهم، ووقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أتي إليه بتاج كسرى ، التاج الذي يلبسه كسرى فوق رأسه ، التاج المرصع بالجواهر والذهب والفضة وما يملكه كسرى في خزائنه من الأموال والجواهر أتي به إلى عمر بن الخطاب في خلافته رضي الله عنه ، وهذا مصداق ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري « **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»**([1]) وهوعلامة من علامات النبوة فالأمة أعطيت ملك هذين ، فقد ملكوا بلاد كسرى وقيصر، وبلاد قيصر كانت في الشام وكسرى كانت في العراق وما وراءها ، المدائن وما وراءها، وكل هذه ولله الحمد دخلت تحت الخلافة الإسلامية وحكمها المسلمون وغنموا أموالها.

فالإشارة في ملك قيصر إلى بلاد الشام ونواحيها وقد دخلت بلاد الشام كلها في الإسلام ولله الحمد وكذلك العراق وما وراءها فهذه علامة أخرى تدل على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

قوله : «وإني سألت ربي لأمتي» فالنبي صلى الله عليه وسلم رحيم بهذه الأمة رؤوف بها مشفق عليها ، فسأل ربه ثلاث دعوات ، فاستجيب له في ثنتين ومنع الثالثة صلى الله عليه وسلم ، سأل ربه ثلاث دعوات كما جاء في صحيح مسلم فاستجيب له في ثنتين ، سأل ربه ألا يهلك هذه الأمة بسنة عامة ، يعني ألا يهلك هذه الأمة بقحط أو جدب يدمر الأمة ويهلكها كما حصل على الأمم السابقة ، فاستجاب الله جل وعلا له في ذلك ، أن هذه الأمة لن تهلك بجدب عام أو بقحط عام ، وسأل ربه ألا يسلط على هذه الأمة عدوا من

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم {٣١٢٠} .

غيرها فيستبيح بيضتها ، ويقضي عليها كلها ، سأل ربه ألا يسلط على هذه الأمة الإسلامية عدوا من سوى أنفسهم ، أي يأتي عدو يفنيها فهذا مستحيل إلا على ما سيأتي من التقييد في بعض أقوال أهل العلم.

إذا هذا الدعاء الثاني : ألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم يعني يستأصلهم .

الدعوة الثالثة : سأل ربه ألا يجعل بأسهم بينهم ، فمنع هذا، فهذه ثلاث دعوات منه صلى الله عليه وسلم « **أن لا يهلكها بسنة**» يعني بجدب .

قوله : «**بعامة**» بعامة أو عامة ، يعني في بعض نسخ صحيح مسلم «**بسنة عامة**»، بدون الباء فتكون كلمة عامة صفة لـ **(بسنة)**. أي بجدب عام ، يعني يأخذ الأمة كلها، أي جدب أو قحط يدمر كل الأمة ، فهذا لا يكون ولله الحمد في هذه الأمة لأنها أكرم الأمم على الله جل وعلا .

قوله : «وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم» يعني عدوًا من الخارج «**فيستبيح**» يعني يستحل «**بيضتهم**» وبيضة كل شيء حوزته ، وبيضة القوم ساحتهم ، يعني يستأصلهم ، والبيضة المعروفة التي يلبسها المجاهدون في الحرب تكون على الرأس ، تحمي الرأس من الضربات ، وهي الخوذة ، فيستبيح بيضتهم يعني يستحل أصلهم ويستأصلهم ويأتي على أصلهم .

قوله : «وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد» القضاء ينقسم إلى قسمين: قضاء كوني وقضاء شرعي ، فالقضاء الشرعي يتعلق بما يحبه الله ويرضاه ، وكذا ينقسم كل من الأمر والإذن والحكم والارادة والمحبة إلى كوني وشرعي.

فالقضاء الشرعي يتعلق بما يحبه الله جل وعلا ويرضاه ، كما في قوله : ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾([1]) فعبادة الله جل وعلا يحبها ويأمر بها، والإحسان إلى الوالدين يحبه ويأمر به.

والقضاء الكوني لا يتعلق بالمحبة ولا بالرضا ، ولكن الله قضى أن يوجد في كونه لحكمة بالغة ، كما قوله تعالى ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ**﴾([2]) فهذا قضاء كوني يقع كونا ، وهو الإفساد من بني إسرائيل ، وإن كان الإفساد والفساد لا يحبه الله جل وعلا كما قال : ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾([3]) لكن الله جل وعلا قضى بذلك لحكمة بالغة، لأن أفعال الله جل وعلا فيها غاية الحكمة وغاية الرحمة .

---

[1]) سورة الإسراء الآية {٢٣} .
[2]) سورة الإسراء الآية {٤} .
[3]) سورة البقرة الآية {٢٠٥} .

قوله : «**فإنه لا يرد**» فلا يستطيع أحد أن يرد قضاء الله جل وعلا أبدا ،والمقصود هنا القضاء الكوني القدري ، وهذا فيه إثبات كمال القدرة أي قدرته جل وعلا وسلطانه ، وكمال سلطانه على كونه وأنه جل وعلا يفعل ما يشاء لا منازع له جل وعلا ولا راد لحكمه أبدا.

وهذه المسألة عندما يعتقدها المسلم يقوى يقينه ويستسلم لأمر الله جل وعلا ويؤمن بالقضاء والقدر، ومع ذلك يجتهد في العمل لقوله في الحديث : «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»([1]) لكن بعدما يعمل فإذا وقعت المصيبة فيسترجع ويعرف أن هذا ما وقع إلا بتقدير الله سبحانه وتعالى ، فيرضى ويسلم، ويمتلىء قلبه بالاستسلام والإذعان والخضوع ، وهذه مسألة مهمة لأن المسلم مبتلى في هذه الحياة ، يتعرض للفتن ، فعليه أن يأتي بالأسباب المشروعة ، فإذا وقعت المصيبة والابتلاء فعليه أن يرضى ويسلم ، لأن الله جل وعلا لا يُرد قضاؤه جل وعلا .

قوله : «**وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة**» إذا الدعوة الأولى استجيب له فيها مطلقا بدون قيد .

الثانية «**وألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**» هذا الأمر الثاني ويحتاج إلى تأمل ، **(ألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم)** ، يعني من غيرهم ، فيستبيح بيضتهم يعني يستأصلهم «**ولو اجتمع عليهم من بأقطارها**» في رواية أبي داود «**من بين أقطارها**» يعني أقطار الأرض، لو اجتمع الأعداء من أقطار الأرض جميعا لا يستطيعون أن يستأصلوا هذه الأمة الإسلامية ، لأن الله جل وعلا اختارها لتكون هذه الأمة أمة الرسول الخاتم وأمة الرسالة الخاتمة «**ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا**» **(حتى)** تحتاج إلى تأمل ، هل «**حتى**» للغاية أم عاطفة تعطف ما بعدها على ما قبلها؟ الجواب : لو قلنا للغاية معناه أن هذه الأمة تظل متماسكة قوية لا يستطيع أحد أن يهلكها أو يقضي عليها حتى يبدأ فيها النزاع الداخلي والاختلاف الداخلي والفرقة، فعندئذ قد يسلط عليها العدو في بعض أنحائها وبعض جوانبها كما حصل من تسليط التتار على دولة الخلافة في بغداد ، وتدمير دولة الخلافة وقتل الخليفة العباسي بمساعدة الشيعة الروافض ، نصير الدين الطوسي وهو عدو الدين ، فالروافض ساعدوا التتار وأرسلوا إليهم كتبا بأنهم سيعاونونهم في اقتحام بغداد ، لأنهم كانوا وزراء الخليفة ، فتسببوا في تشجيع التتر ودخلوا إلى دولة

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم {٤٩٤٩} .

الخلافة وكانوا أحد الأسباب في القضاء عليها ، وقد قتل الخليفة العباسي وتم القضاء على دولة الخلافة في بغداد ، وكانت مقتلة عظيمة ذكر الذهبي أنها من ثمانمائة ألف قتيل إلى مليون قتيل ، حتى أن الهواء تعفن وانتشر الوباء ، انتقل الوباء من العراق إلى الشام بسبب كثرة الجثث والموتى والقتلى ، وهذا أتى بعد تشتت الكلمة والافتراق ، لكنه ولله الحمد لم يقض على دولة الإسلام في المعمورة وإنما ابتليت بها في جهة معينة .

إذا كلمة «**حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا**» إشارة إلى أن الأمة طالما لا زالت على كلمة واحدة معتصمة بحبل الله جل وعلا مجتمعة على كلمة واحدة فإنه لن يتسلط العدو عليهم أبدا، وهذا في الحقيقة الذي نسوقه الآن للأمة الإسلامية، هذه الأحاديث هي وعد صدق لا يتخلف، نقول للأمة الإسلامية ارجعوا واعتصموا بحبل الله جل وعلا ، هذه الدول جميعا عليها أن تجتمع تحت كلمة واحدة، كلمة التوحيد، تحت شريعة الإسلام والتي يجب أن تحكم جميع الدول الإسلامية وعليها أن تدع الفرقة والاختلاف، وعندئذ سنرى أن أكبر دول العالم ستهاب منها أعظم هيبة وتخاف منها أشد خوف كما حصل ذلك أيام الخلافة العثمانية ، لكن طالما أن الأمة لا تزال متفرقة متشرذمة ، كل ولاية على حدا فالعدو لا يزال يطمع فيهم والواقع يبين صدق ذلك ، وهذا الحديث يدل على ما ذكرنا «**حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا**» هذا إشارة إلى التفرق والتشرذم والاختلاف ، فعندئذ قد يسلط العدو عليهم ، وهذا قد حصل ، ولا يزال يحصل ، هذا باعتبار أن (حتى) للغاية وقد يحتمل أن **(حتى)** عاطفة ، تعطف ما بعدها على ما قبلها ، بمعنى أنه من بعض أحوال الأمة أن السبي والإهلاك يكون من داخلها ، يعدو بعضهم على بعض ، القوي يأكل الضعيف والكثير يطمع في القليل وهذا يحصل وقد حصل ، كما هو مشاهد الآن وقد قال تعالى : ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾ ([1]).

قال المؤلف رحمه الله تعالى : «**روى البرقاني في «صحيحه»** البرقاني بفتح الباء الموحدة أو بضمها ، وهو الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ، قال الإمام السمعاني في «الأنساب» : الفقيه الحافظ الأديب له معرفة تامة بالحديث. ولد في سنة ست وثلاثين بعد الثلاثمائة وتوفي سنة خمس وعشرين بعد الأربعمائة ، وهو تلميذ للحافظ الدارقطني، وتتلمذ عليه الخطيب البغدادي لذلك ترجم له في «تاريخ بغداد» ترجمة حافلة

---

[1]) سورة آل عمران الآية {٤٦} .

وقال عنه أنه كان حريصا على العلم منصرف الهمة إليه ولم يقطع التصنيف إلى حين وفاته. وكان يدعو الله جل وعلا أن يصرف عنه شهوة الحديث لأنه وصل فيها إلى أنها شغلت عليه كل أوقاته. وهو نسبة إلى برقان، قرية بنواحي خوارزم، ذكر هذا السيوطي في «لب اللباب» . وللبرقاني كتاب جمع فيه أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم، وهذا الكتاب غير موجود حاليا بين أيدينا ، والمؤلف هنا عزا الحديث إليه وأخذ منه ما سيأتي من الزيادة ، وقد يتعجب من كون تامؤلف سلك هذا المسلك مع أن الحديث في سنن أبي داود، والزيادة التي ذكرها في سنن أبي داود وسنن ابن ماجة ، فلماذا ترك المؤلف سنن أبي داود أو ابن ماجة وعزا هذه الزيادة للبرقاني ؟ ثم وجدت أن المؤلف رحمه الله تعالى نقلها من كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فشيخ الإسلام ذكر الحديث الذي رواه مسلم ثم ذكر هذه الزيادة التي ذكرها البرقاني، فالمؤلف تابعه في ذلك ونقل منه الحديث الذي في صحيح مسلم والزيادة التي في سنن أبي داود ، فهذا المتن بهذه الطريقة منقول من «اقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، هذا هو السر، لأنه من المعروف في علم التخريج أن العزو يكون للمتقدم ولا يعزا للمتأخر حينئذ إلا إذا كان هناك مزية .

قوله : «رواه البرقاني في صحيحه وزاد «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» {إنما أخاف على أمتي} إنما : تفيد الحصر، يعني كأنه صلى الله عليه وسلم لا يخاف على أمته إلا هذا المذكور، إذا معناه أن ما سيذكر بعد **(إنما)** أمر مهم ، ما هذا الذي يخافه على أمته؟

الجواب : يخاف الأئمة المضلين ، فالأئمة إما أن يكونوا أئمة في الخير وإما أن يكونوا أئمة في الشر، والأئمة جمع إمام والإمام قد يكون إماما في الخير أو إماما في الشر، إماما في الخير كما قال تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1] هؤلاء أئمة في الخير، وأئمة الشر كما قال الله جل وعلا فيهم ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ** ﴾[2] والعياذ بالله ، فليحذر الإنسان أن يكون إماما يدعو إلى النار، كيف ذلك؟ إذا دعوت ببدعة فأنت إمام تدعو إلى ضلالة ، تدعو الناس إلى النار، كما جاء في «صحيح البخاري» : «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا قَالَ هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا** »[3]

---

[1] سورة السجدة الآية {٢٤} .
[2] سورة القصص الآية {٤١} .
[3] رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٠٨٤) .

والأئمة إما أن يكونوا من الأمراء أو من العلماء أو من العباد ، كما قال ابن المبارك :

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها

فقد يوجد أمراء الضلالة ، يأخذون الناس إلى البدع وإلى الشهوات وإلى المنكرات ويزينون لهم المعاصي والفسق والفجور، والشعوب في الغالب تبع لحكامها، على دين أمرائها وسلاطينها ، فهؤلاء أئمة السوء من الأمراء ، وأما أئمة السوء من العلماء فهم الذين يفتون الناس بالفتاوى الكاذبة ويضلونهم بالبدع والمحدثات والفتاوى المضلة التي يحلون بها ما حرم الله ، كالفتاوى التي تحلل أخذ الفوائد الربوية من البنوك أو الرشوة وغير ذلك .

فالقصد من هذا الكلام التحذير من علماء الضلالة في الفضائيات وفي غيرها. يبقى أن أئمة الخير قد يكون إماما في الخير لكنه تحصل له زلة ، فينبغي للإنسان أن يتجنب زلة العالِم، وهذا ما رواه أبو داود من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يقول : احذروا زيغة الحكيم. يعني العالم هذا الحديث لأبي داود رقم ٤٦١١، احذروا زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم ، فسأله سائل: كيف نميز بين كلام الحكيم الذي يؤخذ به والذي لا يؤخذ به؟ قال : اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات. اجتنب من كلام العالم الأشياء المشتبهة التي يقال : ما هذه؟ يعني ما هذا الكلام العجيب؟ التي تجد فيه أخذا وردا وفيه إشكالات ، فاجتنبها حتى لو كان الشخص من العلماء، **{ثم قال: ولا يثنينك ذلك عنه}** يعني لا تترك هذا العالم وعلمه { فإنه لعله يراجع الحق} يعني قد يراجع الحق وقد ينصحه إنسان فيرجع إلى الحق والصواب وهذا حصل وما زال يحصل ويحصل مع أئمة الهدى فإنهم يراجَعون فيرجعون، **{وتلقّ الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا}** هذه علامةعلى الحق أن الحق عليه نور قال تعالى : {بل نقذف بالحق على الباطل فندمغه فإذغ هو زاهق}

قوله : «**إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**» لماذا خافهم على أمته صلى الله عليه وسلم؟

الجواب : لأن أئمة الضلال يأخذونهم إلى طرق وسبل اليهود والنصارى، أئمة الضلال يأخذون الأمة إلى سبل اليهود والنصارى وإلى مذاهبهم وإلى التشبه بهم وإلى ترك المحكم من القرآن والسنة وأخذ المتشابه وإلى الحيل واتباع الحيل ، أئمة الضلالة يرشدون الأمة إلى الأخذ بالحيل ، فيسمون الربا فوائد بنكية أو إستهلاكية أو استثمارية إلى آخر ما يقولونه .

قوله : «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» وفي رواية أبي داود **«إذا وُضع»** يعني إذا وضع السيف في الأمة لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، وهذا من علامات النبوة ، فقد أخبر به صلى الله عليه وسلم وقد حصل ووقع كما أخبر، فإن السيف منذ أن وُضع في رقبة عثمان رضي الله عنه من الطائفة الثائرة التي زعمت أنها ثارت لله ومن أجل دين الله والسيف لم يرفع ، فقد قتل بعد ذلك علي رضي الله عنه ، قتله عبد الرحمن بن ملجم قبحه الله ـ بالسبب نفسه ـ قتله تقربا إلى الله ، كما قالوا نحن نقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ قربة إلى الله جل وعلا لأنه فعل كذا وكذا مما اجتهد فيه رضي الله عنه وقد قال عمران بن حطان الخارجي مادحا عبدالرحمن بن ملجم:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه خير البرية عند الله إنسانا

انظر إلى هذا الضلال ، يقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه المبشر بالجنة وزوج فاطمة رضي الله عنهما وأبا الحسن والحسين وفضائله كثيرة ، كتبت فيها وألفت فيها المؤلفات، هذا الخارجي يقول كل ما ذكر قاتل علي يحسبه أتقى أهل الأرض وأرضى الناس عند الله سبحانه وتعالى، وهذا من شدة الضلال والغواية والجهل والعياذ بالله تعالى .

وهكذا حصلت الفتن بالسيف تترى ووضع السيف في ابن الزبير، وقتل مصلوبا، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بعدما رماه ورمى الكعبة بالمنجنيق في مكة ، وهكذا السيف لم يرفع، لا يكاد سلطان أو أمير ينجو منه إلا من شاء الله سبحانه وتعالى وهم قلة في التاريخ، حتى قيل: إن عمر بن عبد العزيز مات بالسم الذي وضع له في الطعام، وقد كانت خلافة عمر بن عبد العزيز من أعظم الخلافات بعد خلافة الراشدين، وأعدلها على مر التاريخ، يعرفها الموافق والمخالف.

فعلى كل حال ما من حاكم أو أمير يسلم من النقد . قلما وجد في التاريخ من سلم ومر بدون أن يلقى هذه النهاية . فبعض الناس يجتهد في تأثيم الأمير أو الحكم عليه من وجهة نظره ، بدون الرجوع لأهل العلم الراسخين وبدون أخذ رأيهم في ما يعتقدونه أو فيما يرونه ، فالذين قتلوا عثمان لم يرجعوا لعلماء الصحابة رضي الله عنهم ولم يستفتوا كبار علماء الصحابة وهم بينهم في المدينة وكذلك الذين قتلوا علي رضي الله عنه ، وقبل ذلك قتل عمر بالسيف أيضا ، قتله علج من العلوج، والشيعة الآن يقيمون لهذا العلج عيدا عند قبره ،

ويسمونه : بابا شجاع الدين وهو أبو لؤلؤة المجوسي لأنه قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحد وزيري رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسمون قبره قبر بابا شجاع الدين، فهو أحد الشجعان في تاريخ الروافض الشيعة لأنه قتل الفاروق الذي يفر الشيطان من طريقه إذا رآه رضي الله عنه .

وهكذا السيف لم يرفع منذ أن وضع كما قال صلى الله عليه وسلم : **«وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة»** .

قوله : «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» {الحي}: القبيلة، وفي رواية أبي داود : **«حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين»**(١) ولحوق هؤلاء بالمشركين إما يكون بأبدانهم ، يعني يهاجرون بأبدانهم إلى المشركين ، كما يحصل الآن الهجرة إلى بلاد الكفر، بعض الناس يهاجر إلى بلاد الكفر بعدما يفارق دينه والعياذ بالله ، أي يفارق دينه ويدخل في دين الكفار مرة واحدة ، ويأخذ جنسياتهم ويستقر عندهم ، والعياذ بالله ، راضيا بدينهم وراضيا بعقائدهم ، وبعضهم يلحق بهم في أفكارهم وفي اعتقاداتهم حتى لو كان يعيش بين المسلمين ، يعني يعيش بين المسلمين وينادي بأفكار اليهود والنصارى.

«لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» إذا هذا شاهد من شواهد الباب ، أن هذه الأمة يلحق البعض منها بالمشركين ، ولذلك يجب علي الشباب أن يحذر من السفر لبلاد الكفار إلا للضرورة وبعد توفر الشروط التى ذكرها أهل العلم وأولاها : أن يكون لديه علم يرد به الشبهات ، الثاني : أن يكون متحصنا بالزواج ليرد به الشهوات ، الثالث : أن يكون قادرا على إقامة الدين ، فإذ تخلفت هذه الشروط أو أحدهل لم يجز له السفر .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **« أَنَا بَرِىءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ قَالَ « لاَ تَرَاءَى نَارَاهُمَا »»**(٢) يعني نار المشرك ونار المسلم .

قوله : «لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» {فئام} يعني جماعات من كل حي أو من أحياء متفرقة ، وعند أبي داود **«وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِى الأَوْثَانَ »**(٣) فالأوثان جمع وثن وهو كل ما عبد من دون الله سواء كان مصورا على شكل صنم أو

---

١) رواه أبو داود في سننه برقم {٤٢٥٢} .
٢) رواه أبوداود في سننه برقم {٢٦٧٥} .
٣) رواه أبو داود في سننه برقم {٢٤٥٤} .

صورة أوغير ذلك ، فالصنم وثن والضريح الذي يعبد من دون الله وثن ، والشجر الذي يعبد من دون الله وثن ، وقس على ذلك ، وهذا أيضا شاهد للباب ، **{لا تقوم الساعة يعني حتى تعبد جماعات من أمتي الأوثان}** ويدل على ذلك أيضا الحديث الذي رواه مسلم **«لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى»**([1]) وأيضا الحديث الآخر الذي رواه مسلم**« لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ حَوْلَ ذِى الْخَلَصَةِ »([2])** وهو صنم من أصنام دوس في جزيرة العرب ، يعني حتى تطوف به النساء ، والآن النساء والرجال يطوفون بالحسين والبدوي وغيرهما من الأضرحة التي ملأت البلاد طولا وعرضا وشرقا وغربا .

ثم قال : **«وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي»** وهذا قد وقع كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وُجد هؤلاء الدجالون وآخرهم هو الدجال الأكبر أي المسيح الدجال ، هذا آخر الدجاجلة أما أولهم فقد ظهر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم :

ـ فظهر أول ما ظهر الأسود العنسي من اليمن وقتل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وظهر معه مسيلمة الكذاب من اليمامة في الجزيرة ، وقتل في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد قتله وحشي الذي قد كان قتل حمزة ، ووحشي قتل خير الناس وقتل شر الناس ، قتل حمزة رضى الله عنه وقتل مسيلمة الكذاب ، وظهر بعد ذلك طليحة بن خويلد الأسدي، لكنه تاب بعد ذلك في عهد عمر وحضر الغزوات والمعارك وأبلى بلاء حسنا.

ـ وظهر بعد ذلك امرأة اسمها سجاح التميمية ، ولكنها أيضا تابت بعد ذلك .

ـ وظهر رجل يعرف بالحارث الكذاب ، في خلافة عبد الملك بن مروان وقتل ،

ـ وظهر بعد ذلك دجال كبير هو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، الذي ادعى محبة آل البيت وأنه يريد أن ينتقم من قتلة عثمان رضي الله عنه فتتبعهم وقتل منهم عددا ففتن به الناس إلى أن ادعى النبوة وادعى أن جبريل عليه السلام ينزل عليه، وهذا نزلوا عليه الحديث الذي رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **«إن في ثقيف كذابا ومبيرا»**([3]) فهذا هو الكذاب ، الكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي والمبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومعنى المبير هو المسرف في الإهلاك وفي القتل، فالحجاج بن يوسف كان

---

[1]) رواه مسلم في صحيحه برقم { ٥٢ – (٢٩٠٧)}

[2]) رواه مسلم في صحيحه برقم {٧٤٨٢} .

[3]) رواه مسلم في صحيحه برقم {٦٦٦٠} .

مسرفا في الانتقام ممن يعاديه ويخالفه ، ولما قالت له أسماء هذا الحديث بعدما صلب ابنها عبد الله بن الزبير دخلت عليه وذكرت له هذا الحديث فقال لما سمع الحديث «**إن في ثقيف كذابا ومبيرا**» قال عن نفسه مبير المنافقين ، مع أنه قتل من قتل من أفاضل الناس في ذلك القرن كابن الزبير وابن جبير وغيرهم ، لكنه يؤول فقال عن نفسه مبير المنافقين، بعدما ضرب الكعبة بالمنجنيق وهتك الحرمة.

ـ وظهر بعد ذلك في عهد المأمون امرأة ادعت النبوة فلما قالوا لها الحديث قالت إن الحديث يقول «**ولا نبي بعدي**» ولم يقل ولا نبية ، لا نبي رجل ولم يقل ولا نبية يعني امرأة ، وآخر أيضا ادعى النبوة ولما ناقشه بعض الناس قال عندي دليل على نبوتي ، قالوا ما هذا الدليل؟ قال: إنني أعلم ما في نفسك ، قال وماذا في نفسي؟ قال: في نفسك أنك تقول إنني كذاب .

ـ وممن ظهر في هذه العصور المتأخرة رجل في السودان اسمه محمد محمود طه، كان يدعو إلى اختلاط الجنسين وقتل في عهد الرئيس نميري .

وظهر في أمريكا رجل اسمه محمد إليجا علي ، ادعى النبوة وخلط بين النصرانية والإسلام، ولما هلك ورث عنه هذا المذهب ابنه وارث الدين، لكنّ وارث الدين بعدما ذهب للحج التقى بعض أهل العلم هناك في الحرمين فكأنما تغيرت بعض عقيدته ، وصار يزعم بأن والده لم يكن نبيا ، فافترق الناس بعد ذلك على فريقين على والده هل كان نبيا أو مجددا؟ فالابن يعدل إلى أنه لم يكن نبيا والأتباع يقولون بأنه كان نبيا .

ـ وممن ابتلينا به في هذا العصر غلام أحمد القادياني الذي أسس القاديانية وقد هلك في سنة ست وعشرين بعد الثلاثمائة وألف ، هلك بالطاعون وأسس نحلة القاديانية الموجودة في الهند وبعض باكستان وله مذهب وله أتباع ينشرون القاديانية في أفريقيا وفي تلك النواحي وفي بلاد الجهل ، يعني الأماكن التي يكثر فيها الجهل كإفريقيا وأوروبا ، يبنون المعاهد هناك والمدارس والمستشفيات ويوزعون كتب القادياني الدجال الكذاب ، وكشف عوارهم عدد كبير من أهل العلم ومنهم الشيخ إحسان إلهي ظهير رحمه الله تعالى وغفر له، وهو متخصص في كشف عوار هؤلاء.

وكان قبل هؤلاء البابية والبهائية التي استقرت الآن في مصر وأصبحت البهائية الآن في مصر لها كيان ولها اعتراف وتدعو إلى أن يكتب في البطاقة الشخصية في خانة الديانة بدلا من كلمة مسلم يكتب بهائي لكنهم ولله الحمد لم يستجب لهم على ذلك ، وهذا من الابتلاء ، أن البابية التي ظهرت في إيران

وولّدت البهائية ما لبثت أن وصلت إلينا وظهرت في بلادنا وأصبح لها كيان يطالب المجتمع بالاعتراف به ولا حول ولا قوة الا بالله .
هذا من البلاء في هذا العصر العجيب المليء بالفتن والمحن العقائدية ،وهي في هذا العصر على أشدها وعلى أعظم ما تكون وأشد ما تكون فلذلك ينبغي للمسلم أن يتحصن وأن يعرف دينه جيدا ويعرف عقيدته ويدرس عقيدته ولا يسمع لكلام المخذلين الذين يقولون إنك تستطيع في خمس دقائق أن تتعلم لا إله إلا الله ، والرد عليمه أن البهائية يقولون لا إله إلا الله والقاديانية يقولون أيضا لا إله إلا الله، والروافض والخوارج يقولون لا إله إلا الله وعبد الله بن سبأ اليهودي الذي أسس الرفض والتشيع يقول لا إله إلا الله ، وكذلك عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق يقول لا إله إلا الله ، والمعتزلة والجمهية وأئمة الزندقة كابن عربي والحلاج وابن سبعين وابن الفارض كلهم يقولون لا إله إلا الله ، لكن لا إله إلا الله لا بد لها من قيام بحقها ، ولا بد لها من تحقق شروط وانتفاء موانع ولابد لهما من فهم صحيح ، فهؤلاء المخذلون يصدون الناس عن تعلم عقيدتهم وبهذا يوقعونهم في مزيد من الإشكالات، ومنها الاغترار بما عليه الروافض والقاديانية والبهائية وزنادقة الصوفية.
فينبغي للإنسان أن يحصن نفسه ويحصن دينه ويحصن عقيدته بالعلم الصحيح ، علم الكتاب والسنة بعقيدة السلف الصالح المشهود لهم بالخيرية والمشهود لهم بالفضل على مر القرون .
قوله « **كذابون ثلاثون**» قال أهل العلم إن هذا العدد أقل ممن ظهرفالذين ظهروا أكثر، لكن كثيرا ممن ظهر لم تقم لهم شوكة ولم يكن لهم بأس ، أما العدد المذكور في الحديث فهم الدجالون الذين سيكون لهم شوكة وبأس وقوة ، لكن عدد الذين ادعوا النبوة أكثر من ذلك ، وبعضهم لا يعرف عنه شيء ، أما من ظهروا وكانت لهم شوكة وبأس فهؤلاء من العدد ولا يزال هذا العدد يتكامل يعني لعله لم يكتمل حتى الآن إلى أن تقوم الساعة.
قوله : «كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين» خاتَم وخاتِم ، والخاتَم هو الطابع الذي يطبع به على الشيء، والخاتِم يطلق على الفاعل الذي يقوم بالختم ، فهو صلى الله عليه وسلم خُتم به الأنبياء ، وبمجيئه ختم النبوة صلى الله عليه وسلم ، **«ولا نبي بعدي»** وهذا تأكيد لما سبق ، وبعض الناس يسأل سؤالا : يقول: جاء في الأحاديث أن عيسى عليه السلام سينزل ويحكم الأرض فكيف يكون محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء.

والجواب : أن عيسى نبي بعث قبل نبينا عليهما الصلاة والسلام لكنه رُفع وسينزل في آخر الزمان حاكما بهذه الشريعة الإسلامية ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فعيسى عليه السلام نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم قال في آخر الحديث بعد ذكر هذه الفتن في العقيدة وفتن الأئمة المضلين وفتن في النبوة وظهور الدجاجلة ذكر صلى الله عليه وسلم بعض المبشرات أو أحد المبشرات وهي قوله « **لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ** » ([1]) وفي رواية لمسلم **{ظاهرين}**([2]) ، أي ظاهرين بالحجة والبيان وقد يكونون في وقت من الأوقات ظاهرين بالسيف والسنان ، فالطائفة الناجية المنصورة لا يشترط أنها إذا دخلت معركة تنتصر، فقد تنتصر وقد لا تنتصر في المعركة لكنها منتصرة بظهور وبيان ووضوح عقيدتها ووضوح الحق الذي معها ، وأن أعداءها يعرفون أن هؤلاء على الحق وإن هزموا وإن قتلوا ، فالظهور الأصل أن يكون بالحجة والبيان ، فهذه الطائفة المنصورة ظاهرة قوية بما معها من الحق الواضح الصريح حتى لو كانوا قلة في مكان ما أو أماكن متفرقة من العالم، وقد يأتي في وقت من الأوقات يكون لهذه الطائفة قوة وشوكة فتنتصر بالسيف والسنان على أعدائها .

إذا هذه الطائفة الناجية وصفت بعدة صفات: أنها منصورة، وأنها على الحق، وأنهم ظاهرون، وهذه الطائفة هي التي يطلق عليها أهل السنة والجماعة ، إذا تقول : الطائفة الناجية أو الطائفة المنصورة أو أهل السنة والجماعة ، أهل العلم بعضهم اجتهد في تفسير هذه الطائفة ، وقبل أن نذكر تفاسيرهم نقول بأن أهل السنة والجماعة قد يكونون مجتمعين في مكان واحد في وقت من الأوقات وقد تتفرق بهم البلدان، فيكون واحد في الشرق وواحد في الغرب ، جماعة في الشام ، وجماعة في الشمال وجماعة في الجنوب ، جماعة في اليمن ، جماعة في مصر، وكل هؤلاء يدخلون في الطائفة الناجية ، في أهل السنة والجماعة لأنهم التزموا بالسنة ودعوا إلى السنة واجتمعوا عليها ، فلذلك سموا بالجماعة ، بأهل الجماعة .

---

[1]) رواه البخاري في صحيحه برقم {٣٦٤١} .

[2]) رواه مسلم في صحيحه برقم { ٥٠٥٩} .

الإمام أحمد رحمه الله تعالى أُثر عنه أنه قال : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم. وهذا الكلام أيضا نقل عن ابن المبارك وابن المديني ، وقد قال البخاري في موضع : أنهم أهل العلم وفي موضع أنهم أهل الحديث والمعنى واحد، لأن العالم لا يكون عالما إلا بأن يعرف الحديث والسنة ، وليس هذا معناه أنك تأخذ في الحديث شهادة كالباكلريوس أو الماجستير أو الدكتوراه ، كلا، فإنك تعد من أهل الحديث طالما أنك عملت بالحديث والسنة ، إذا سمعت بسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعملت بها سواء كنت تعمل في قاع البحر أو في منجم من المناجم أو في مصنع من المصانع أو تعمل في مدرسة أو جامعة أو دكان أو حانوت أو نحو ذلك ، طالما أنت متبع للسنة وتدور مع السنة حيث دارت فأنت من أهل الحديث ، طالما لا تقدم الرأي والهوى على الحديث والسنة فأنت من أهل الحديث ، والخطيب البغدادي رحمه الله يقول : ولولا عناية أصحاب الحديث بضبط السنن وجمعها واستنباطها من معادنها والنظر في طرقها لبطلت الشريعة وتعطلت أحكامها .أهـ يعني لولا عناية أهل الحديث والسنة بجمع الحديث والبحث في الحديث لتعطلت الشريعة وسقطت السنة ولم نعرف كيف نفسر كتاب ربنا سبحانه وتعالى.. ولم نعرف كيف نعبد الله سبحانه.

أما عن **مكان هذه الطائفة** يقول فيها الشيخ ابن باز رحمه الله في تعليقه على كتاب التوحيد : ليس في الحديث الصحيح ما يدل على أنها في مكان معين وقد جاء في روايات أنها تكون بالشام لكن إن صح هذا فالمراد أحيانا وليس دائما ولكن غالب هذه الروايات ضعيفة وليس لها مكان معين وقد تجتمع وقد تفترق .

إذا هذه الطائفة لها عدة أسماء ، هي الطائفة الناجية كما جاء في الحديث الآخر « **افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِى عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً** »([1]) في رواية «هي الجماعة»([2]) وفي رواية « **من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي** »([3]).

هذه الفرقة الناجية علامتها هي التي تسير على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه مؤتسية مقتدية به صلى الله عليه وسلم وبأصحابه ومن

---

[1]) رواه أبو داود في سننه برقم {٤٥٩٨} .

[2]) رواه أبو داود في سننه برقم { **٣٩٩٣**} .

[3]) رواه الطبراني في الأوسط برقم {٧٨٤٠} .

تبعهم بإحسان ، فمن سلك طريق هؤلاء فهو داخل في الفرقة الناجية وهو أيضا داخل في وصف الطائفة المنصورة وأهل السنة والجماعة ، وكل هذه الأوصاف لمسمى واحد ، وليس كما يدعي بعض الناس في كتاباته الغرباء لسلمان أن هذه شيء وتلك شيء آخر، ورسم بعضهم دائرة كبيرة وفي وسطها دائرة أصغر وفي وسطها دائرة أصغر ويقول : هذه أهل السنة وهي الدائرة الكبرى ، وهذه الطائفة الناجية وهي الدائرة الوسطى ، وهذه الطائفة المنصورة وهي الدائرة الصغرى ، وقد رد عليهم الشيخ ابن باز رحمه الله وغيره من أهل العلم بأن هذا كله تفريق بدون دليل ؛ فالأحاديث جاءت تبين أن هذا كله أوصاف لطائفة واحدة، هي منصورة وهي ناجية باتباع السنة، وهي أهل السنة والجماعة لأنهم اجتمعوا على السنة وداروا معها .

قوله : **«حتى يأتي أمر الله»** وفي رواية **«حتى تقوم الساعة»** يعني قرب قيام الساعة، لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس ، فالساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، حتى لا يقال في الأرض الله الله ، فقبل أن تقوم الساعة تأتي ريح طيبة تقبض أرواح الفئة المؤمنة أو **«حتى يأتي أمر الله»** أو **«حتى تقوم الساعة»** يعني حتى تقوم ساعتهم ، يعني موتهم .

قوله : «حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى» تبارك : يعني تعاظم وتقدس ، والبركة تأتي ويراد بها فعله سبحانه وتعالى ، هو الذي يبارك على من شاء جل وعلا ومن بارك عليه فيقال هو مبارك ، وتأتي وتضاف إلى الله جل وعلا إضافة الصفة، كرحمة الله وعزة الله ، صفة من صفاته جل وعلا .

قوله : «تبارك وتعالى» وتعالى: يثبت له بهذا كمال العلو ونهايته له جل وعلا، وتعالى أي تعاظم أيضا، وهذا الحديث رواه بهذه الزيادة أبو داود وابن ماجة ورواه الترمذي مجزءا وهو حديث صحيح على شرط الإمام مسلم .

بقي أن نقول بهذه المناسبة في هذا الباب الذي معنا والذي سبق الكلام عليه **«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»** أننا في هذه الأيام ابتلينا بصورة وقع فيها بعض شبابنا داخلة في هذا الحديث وهي الاقتداء بالغرب الكافر فيما يعرف بعيد الحب ، وعيد الحب هو أحد أعياد النصارى ، وسببه أن أحد الملوك أو الامبراطور الروماني بعد دخوله في النصرانية أراد من جنوده ألا يتزوجوا حتى لا ينشغلوا بالزواج عن قتال أعداء الامبراطورية ، فتصدى له أحد القسيسين واسمه فالنتين، وكان يزوج الجنود سرا ، فسجنه هذا الامبراطور، وهو في السجن أحب ابنة السجان وعلم بذلك الامبراطور فقتله في يوم الرابع عشر من شهر فبراير، شباط ، فاتخذ النصارى ذلك اليوم عيدا

لهم ، وسموه بعيد الحب ، وهذا في سنة ٢٧٠ميلادي، فصار هذا العيد من ذلك الوقت عيدا للنصارى ، وللأسف الشديد بدأنا نرى من ضعفاء المسلمين من يلهج ويمشي وراءهم ويحتفل بهذا العيد وهو عيد وثني صليبي فيحتفلون بهذا العيد ويأتون فيه بالأشياء الحمراء كالباقات الحمراء والقلوب الأحمر ونحو ذلك ، وأصل عيد الحب عندهم هو عيد الاختلاط الجنسي الفاضح ، وهم يعيشون فيه ، هم يعيشون في هذا الاختلاط لكنهم في هذا اليوم يزيدون في الفسق والمجون والخروج عن كل دين وعن كل خلق كريم ، فللأسف الشديد بعض الجهال من شباب المسلمين يسير وراءهم كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، ويدلسون على الناس بقولهم عيد الحب ولا يعنون بهذا الحب الحب الذي يعرفه المسلمون في إسلامهم حب الله أو حب النبي صلى الله عليه وسلم أو حب الوالدين أو حب الصالحين وغير ذلك وإنما حب الفاحشة والرذيلة .

ولا بد أن يعرف كل مسلم أن الاحتفال بالأعياد من أعظم شعائر كل ديانة ، كل ديانة لها أعياد قال الله تعالي : **{لكل أمة جعلنا منسكا }** قال ابن عباس : أي عيدا ، ومن أعظم ما يظهر هذه الديانة أعياد هذه الديانة ، فأهل الإسلام لا يعرفون إلا عيدين، عندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وجد أهل المدينة يلعبون في أيام عيد لهم ، فقال «إن الله أبدلكم» يعني بهذه الأيام «يومين خيرا منهما عيد الأضحى وعيد الفطر»([1]) فليس لنا أهل الإسلام إلا عيد الأضحى وعيد الفطر، والعجيب أنك لا تجد صليبيا نصرانيا يحتفل يوم الأضحى بعيد الأضحى، يعني لا يوجد يهودي أو نصراني يأتي يوم الأضحى ببقرة أو شاة يذبحها ويقول أنا أحتفل مع المسلمين بعيد الأضحى ، ولم يسمع أحد في العالم أن أحدا من النصارى احتفل بعيد الأضحى. فلماذا هذا الحرص في الاحتفال بأعياد المشركين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم **«من تشبه بقوم فهو منهم»**([2]) أو **«حشر معهم»**([3]) وقال **«إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا»**([4]) عيد أهل الإسلام .

فالواجب علينا جميعا ألا نشارك في هذه الأعياد لا ببيع شيء من الهدايا ولا بشرائها ولا بتقريبها لهم لأن هذا من التعاون على الإثم والعدوان ، ونحن

---

[1]) رواه أبو داود في سننه برقم { ١١٣٦} .

[2]) رواه أبو داود في سننه برقم { ٤٠٣١ }

[3]) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم { ١٩٣٣٦}.

[4]) رواه البخاري في صحيحه برقم {٩٥٢} .

أمرنا بالتعاون على البر والتقوى ، يعني لا يبيع شيئا مخصوصا مما يستعمل لهذا اليوم .
فهذا ضرب من الجنون وضرب من الخبل ، والمسلم يعتز بدينه لأن أمة الإسلام أمة عزيزة مجيدة بهذا الدين العظيم ، لا ينبغي للإنسان أن يتشبه بأناس يعبدون الصلبان ويعبدون النساء ويعبدون الصور فيتدنى إلى منزلتهم وقد رفعه الله جل وعلا.
وقد تكلم الذهبي في هذا الموضوع موضوع التشبه في كتابه العظيم الكبير «تشبه الخسيس بأهل الخميس» فالذي يتشبه بهؤلاء فيه خسة والمسلم عزيز بدينه ويترفع عن أن يتشبه بهؤلاء.
قوله : فيه مسائل:
الأولى: تفسير آية النساء .
يعني قوله تعالى : ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا**﴾ سبق الكلام عليها .
الثانية : تفسير آية المائدة .
يعني قوله تعالى : ﴿**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت**﴾ .
سبق الكلام عليها .
الثالثة : تفسير آية الكهف .
يعني قوله تعالى : ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا﴾ .
سبق الكلام عليها .
الرابعة: وهي (من) أهمها: ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت؟ هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفه بطلانها؟
يعني في هذا الموضع المذكور في الدليل السابق ، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت، هل هو اعتقاد قلب فقط أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها، يريد المؤلف أن يقول بأن بعض الناس قد يقول لك أنا لا أؤمن بالجبت والطواغيت لكنه في الواقع يوافق المتبعين للجبت والطاغوت ويعمل بعملهم ويقول بقولهم ويناصرهم ويحتفي بهم ويحبهم ، فهذا الذي يفعله يكذب كلامه دعواه ، فليس القصد فقط أنه لا يعتقد في الجبت والطاغوت ولكن يعمل بعمل التابعين للجبت والطاغوت ، فمن المعلوم أن الكفر يكون في الأقوال كما يكون في الأفعال وكفر الشك وغير ذلك ، وقد يدعي الإنسان أنه

يحب نبيا من الأنبياء ثم يقتل ذاك النبي، ويدعي أنه يحب القرآن ويهين القرآن ويمزقه ، فهل هذه الدعوى القولية تنفع؟
لا تنفع ، بل هو كفر بفعله ، والادعاء بالقول لا ينفعه ، هذا مراد المؤلف من هذه المسألة .
الخامسة : قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.
قولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم : أي اليهود والنصارى يعرفون أن المشركين الذين يعبدون الأصنام ليسوا على شيء ، ومع ذلك قالوا عنهم أنهم أهدى من أهل التوحيد، أهدى من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وذلك من أجل طلب النصرة منهم ، ومن أجل مظاهرتهم على أهل الإسلام .
السادسة : وهي المقصودة بالترجمة: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما تقرر في حديث أبي سعيد.
أي اتباع الطواغيت والإيمان بالجبت ، فسيوجد في هذه الأمة وقد وجد بالفعل ، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة شبرا بشبر وذراعا بذراع**» .
السابعة : التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.
بدليل قوله : «**لا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان**» وقوله «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**» وقوله «**لا تقوم الساعة حتى تعبد اللات والعزى**» .
وقع من هذا ما سبق بيانه .
الثامنة: العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه: أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.
هو ابن أبي عبيد الثقفي الذي خرج في آخر خلافة ابن الزبير « **مع تكلمه بالشهادتين** » يعني هو يشهد الشهاتين أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم « **وتصريحه بأنه من هذه الأمة** » هو يقول بأنه يحب آل البيت وأنه أخذ على عاتقه أن يقتل وينتقم من قتلة الحسين رضي الله عنه ، فإذا كان هو يشهد الشهادتين ويؤمن بالقرآن والقرآن فيه أن محمدا خاتم النبيين وخاتم المرسلين ومع ذلك يدعي النبوة يكون له أتباع ، يقول الشيخ:

هذا من العجب العجاب، أين العجب؟ العجب أن المختار يدعي أنه يؤمن بالقرآن وبالسنة ، مع أن القرآن فيه بيان أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والسنة جاءت بأنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم ، فكيف يدعي الإيمان ويدعي محبة آل البيت والقرآن يكذب دعواه بأنه نبي ، فيزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه ويأتيه ، لذلك استشهد عدد من الأئمة كما قال البيهقي بالحديث الذي رواه الترمذي «**إن في ثقيف كذابا ومبيرا**» تخريج فالكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فهو كذاب مدع للنبوة ، والمبير المهلك المسرف في الإهلاك هو الحجاج بن يوسف الثقفي ، لذلك لما دخل الحجاج على أم عبد الله بن الزبير وهي أسماء رضي الله عنها وقالت له هذا الحديث ، قالت له بأنك أنت المبير قال : أنا مبير المنافقين ، يقصد ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، قالت كلا والله إنه كان بارا بوالديه قواما لليل ، هكذا كان ابن الزبير، كان ابن الزبير إذا صلى في صحن الكعبة يعني في صحن الحرم عند الكعبة تأتي الطيور تقف عليه تظنه جذع شجرة من عدم حركته وطول قيامه .

يقول الشيخ « **العجب العجاب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه: أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله** » مع هذا يصدق المختار في هذا كله « **مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة**» يعني أيام ابن الزبير « **وتبعه فئامكثيرة** » يعني جماعات كثيرة وهذا كما قال المؤلف من العجب العجاب ، ابن عمر قيل له كما ذكر ابن الأثير في «أسد الغابة» قيل له إن المختار يضع كرسيه وله أتباع يطوفون بالكرسي يطوفون حوله ويستمطرون به ويستسقون به ، يعني إذا احتاجوا إلى السقيا أو النصرة يستسقون به ويطلبون نزول المطر به ويستنصرون به ، فابن عمر عندما ذكرت له قصة الاستنصار قال : أين بعض جنادبة الأَزد؟ والجنادبة أربعة :جندب بن عبد الله ، وجندب الخير ، وجندب بن كعب ، وجندب بن زهير([1]).

جندب الأزد الذي هو جندب بن كعب الذي قتل الساحر كما سيأتي ، الذي قتل الساحر هو جندب بن كعب الأزدي الغامدي ، كان في مجلس الوليد بن عقبة وهناك ساحر يلعب في مجلس الوليد فيأتي لأحد الناس يضرب رأسه فيظن الناس أنه قتله ثم يأخذ الرأس ويعيدها مرة أخرى فيخرج الرجل إلى الناس

---

[1]) راجع الاصابة ١ / ٦١٢ ط دار الكتب العلمية .

كأنه حَيَا، مات ثم بُعث، فقام جندب بن كعب الغامدي الأزدي أبو عبد الله واشتمل على سيفه ، أي أخذ السيف ووضعه داخل الثوب ، ثم ذهب إليه شيئا فشيئا فضربه بالسيف ، فقتله ، فقال : إن كان صادقا فليحي نفسه ، لأن هذا من سحر التخييل ، وهذا لا يقدر عليه الساحر أن يحيي الموتى وإنما يخيل إلى الناس أن رأسه تطير ؛ تذهب عنه ثم ترجع مرة أخرى، هذا أحد أنواع السحر، كما سيأتي إن شاء الله، لأن السحر منه سحر حقيقي وسحر تخييلي ، فقتله جندب ، ولكن هذا لم يعجب الوليد بن عقبة فسجنه ، ثم أخرجه بعد ذلك ، راجع المصدر السابق .

القصد أن ابن عمر قال أين الجنادبة ؟ أين جنادبة الأزد للمختار؟ يعني ليقطعوا رأسه ويفعلوا به كما فعل بذلك الساحر .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

لقوله صلى الله عليه وسلم :«**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم –أو خالفهم- حتى يأتي أمر الله**» .

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم » .

مع قلتهم لا يضرهم من خالفهم ، وهذا ظاهر كما في محنة الإمام أحمد رحمه الله تعالى، محنة أهل الحديث في عهد المأمون والمعتصم والواثق ، قلة قليلة ثبتت على الحق ، وانتصرت بعد ذلك ، هذه القلة القليلة ثبتت وانتصرت فرفع الله شأنها وأمرها وأظهرها بهلاك المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ثم مجيء المتوكل، وهذه من آيات الله، أن الفئة القليلة انتصرت ، والنصر يكون على أحد نوعين : إما نصر بالسيف والسنان وإما نصر بالحجة والبيان ، وليس شرط الطائفة الناجية أن تكون دائما منصورة بالسيف ، بل هي دائما منصورة بالحجة ، حجتها ظاهرة قائمة غالبة وإن لم يكن سيفها منتصرا .

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

يعني قرب قيام الساعة أو قيام ساعتهم .

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة :

منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك ، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال. وإخباره بأنه أعطي الكنْزين. وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين. وإخباره بأنه مُنع الثالثة. وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع. وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا ،

وسبي بعضهم بعضا . وخوفه على أمته من الأئمة المضلين . وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة. وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول.

{ما فيهن} يعني ما في هذه الأدلة « **من الآيات العظيمة** » يعني الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، من هذه الآيات العظيمة ما يذكره المؤلف الآن « **إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال** » يعني أن الإسلام انتشر في جهة المشارق والمغارب وملك المسلمون المشارق والمغارب أكثر مما ملكوا الشمال والجنوب ، وهذا مصداق ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله زوى له الأرض ورأى أن ملك أمته سيبلغ المشارق والمغارب ولم يذكر أن ملك أمته سيبلغ الشمال والجنوب « **وإخباره بأنه أعطي الكنْزين** » أي كنز كسرى وكنز قيصر وهذا حدث في عهد الخلفاء، فجاء المسلمون في عهد عمر بكنز كسرى وتاجه وما في مملكته من الذهب والفضة ، ومملكة الروم التي كانت في الشمال غزاها المسلمون في غزوات متتالية وطردوهم وأخرجوهم من الشام ، حتى غزوهم في قبرص.

«**وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين**» يعني أجاب دعوته بألا يهلك أمته بسنة بعامة ، وألا يسلط عدوا من غيرهم فيقضي عليهم ، **وإخباره بأنه منع الثالثة** ، وهي ألا يجعل بأسهم بينهم ، وهذا قد حدث والبأس موجود بين المسلمين، فالقوي يعتدي على الضعيف والكثير يأكل القليل .

« **وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع** » وهذا حصل أيضا ، وضع في رقبة عثمان رضي الله عنه ، لا يزال السيف موضوعا في الأمة حتى الآن. «**وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة**» وسبق فيما مضى بيان عدد من المتنبئين الذين ادعوا النبوة « **وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة** » وهي باقية، وعرفتم أن البخاري والإمام أحمد وابن المديني وعددا من أهل العلم قالوا بأنهم أهل الحديث والمقصود بهذا من يعمل بالحديث والسنة ويدور مع الدليل حيث دار ، سواء كان يدرس في كلية أو في مدرسة أو كان لا يدرس دراسة نظامية أو كان عنده ما جستير في الحديث أو ليس عنده شهادة أصلا ، المقصود أن الإنسان يكون من أهل الحديث إذا كان يلتزم بالعمل بما يصله من النص ومن السنة ويدور مع السنة ولا يقدم الآراء والأهواء والمكاشفات المنامية كما يفعل الصوفية ، فإذا حكّم الإنسان الكتاب والسنة في حياته فهو من أهل الحديث .

« وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول » يعني لو تأملت في كل واحدة استبدعت وقوعها جدا ، فالمسلمون كانوا محصورين وهاجروا بسبب التضييق عليهم في مكة إلى المدينة ، وكان الواحد منهم لا يستطيع أن يذهب لقضاء حاجته من الخوف من الأعداء المتربصين ، ثم مرت الأيام والسنون وقد ملك هؤلاء المشارق والمغارب تصديقا لما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يُلقى في الطريق من شدة الجوع يسأل أبا بكر الصديق عن آية أو يسأل عمر عن آية من أجل أن يطعمه فما مرت الأيام والسنون إلا وأبو هريرة أصبح أميرا وأصبح له قصر وقد أغناه الله جل وعلا ، وهذا تصديق لما أخبر به النبي الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين »

لشدة خطرهم على الأمة وشدة إضلالهم سواء كان هؤلاء الأئمة من الأمراء أو من العلماء أو من العباد كما سبق.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان »

وأنه ليس المقصود أنه يذهب عند القبر أو عند الوثن يركع ويسجد فقط ، لا ، المعنى أعم وأوسع من ذلك ، فيدخل فيه خوف السر ويدخل فيه الخشوع والخضوع ويدخل فيه التحاكم إلى الطواغيت ويدخل فيه الذبح والنذر لهذه الأوثان وغير ذلك من أنواع العبادات .

والله تعالى أعلم .